البُعدُ الوطني في أعمال الأديب عبدالله عباس الارياني

تجربة أدبية مكتملة الملامح

فايز محيي الدين البخاري
faiz444888@gmail.com

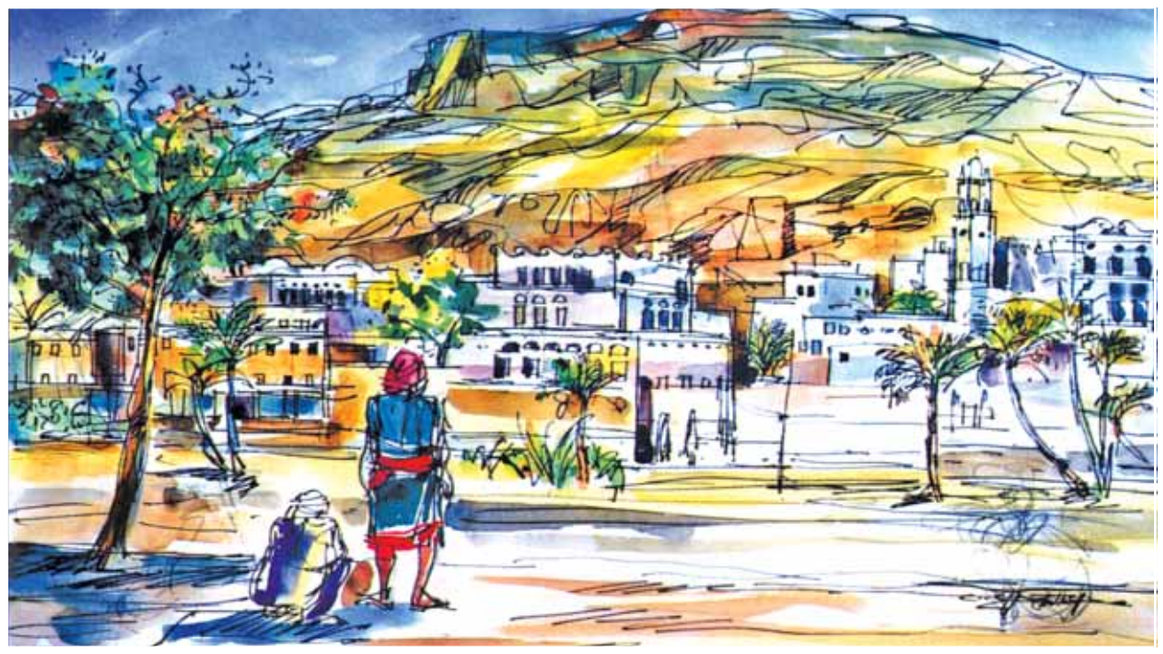

من خلال جولة سريعة في أسماء إصداراته الأدبية التي تنوَّعَتْ بين الرواية والمسرحية والقصة القصيرة، نستطيع أنْ نستشرف البُعْدَ الوطني في أعماله ونلج إلى أعماقها من خلال العنوان.

وكما هو معروف أنَّ العنوان في النص الأدبي عبارة عن دالة قوية تبئُ عن المضمون، وفي الوقتِ نفسه قد تشي من خلال مفرداتها القليلة - بما يشبه الاختزال للنص – بالفكرة الأساسية التي ينبني عليها النص أو المهيمنة التي تدور إحداثيات النص حوله.

ولعلّنا لا نبالغ إنْ قلنا عن ما أصدره الأستاذ عبدالله عباس الإرياني حتى الآن تجربة أدبية متكاملة الملامح، ليس لغزارة إنتاجه ولا لتنوع الفنون التي يكتب بها بقدر ما هو تنوع في المضامين. فضلاً عن معرفته اليقينية وإدراكه المُسبَق لما يريد أنْ يوصله من خلال نصه الأدبي.

فهو ينطلق من إيمان مُطلَق بقضية حتمية لا تزال تتسيَّد كل أعماله وتسيطر على مختلف كتاباته بما يشي للمتلقي أنَّ هذا الأديب لم يُخلَق إلّا لهذه القضية.

والقارئ الحصيف يُدرِكُ من أوّل وهلةٍ معالم هذه القضية التي وسمَتْ تجربة الإرياني وأصبحتْ لصيقةً بأعماله ولا يكاد ينفكُ عنها. وإنّها لشرفٌ كبيرٌ لمَن يتبنّاها.. إنّها القضية الوطنية بكل أبعادها وتداخلاتها. فعبدالله عباس الإرياني مُصابٌ بداءِ الوطنية حتى النخاع. وفي حين يحاول الكثير من الأدباء التنوع في كتاباتهم التي تطرق الرومانسية والعلاقات الاجتماعية مثلما تطرق القضايا الوطنية أو تذهب نحو الأدب البوليسي نجد عبدالله عباس فقط وقد عزفَ عن ذلك كله بلا شعور وبدافع من العاقل الباطن الذي استقى أولى ثقافاته داخل أُسرَة لها في النضال الوطني باعٌ طويل، فكان ذلك بمثابة السور الذي منعه من تجاوز الهَمّ الوني إلى ما سواه.

قد يقول قائلٌ: هذا دليلُ قصورٍ لدى الكاتب، ولكن أثق يقيناً أنَّ عبدالله عباس يتجه نحو ما يمليه عليه ضميره وإحساسُه الوطني وينقاد لهما طواعيةً لأنه يرى في ذلك عملاً مقدّساً وواجباً لابُد أنْ يقوم به تجاه هذا الوطن الذي أعطى له هذه الشخصية الأدبية الفذة.

البُعدُ الوطني في أعماله اتضحَ جلياً منذ عمله الأدبي الأول الذي نشرَهُ عام 2006م وتناولَ فيها ملحمة حصار السبعين يوماً التي بدأتْ في 28نوفمبر 1967م وانتهت في 8فبراير 1968م، وتم فيها حصار العاصمة صنعاء بواسطة جحافل وفلول القوى الملكية والرجعية في محاولةٍ بائسةٍ أرادتْ من خلالها إسقاط العاصمةِ والقضاء على النظام الجمهوري والعودة باليمن إلى عهد الرجعية والتخلُّف.

والأجمل في هذه الرواية أنّ أحداثها امتدت بين بطليها حتى قيام الوحدة الوطنية المباركة في 22مايو 1990م، وتناول خلالها الروائي مأساة التشطير أيضاً، لتأتي الرواية ضاجّة بالبُعد الوطني وصوره المتعددة.

وهذا يعني أنّ الإرياني ممسوسٌ بهذا الداء اللذيذ حتى النخاع، فهو لا يكاد ينفك عن قضية وطنية حتى يدخل بأُخرى.

وهذه الرواية وإنْ كانتْ قد بدأتْ بتناول ملحمة السبعين يوماً لكنَّ أحداثها التي دارتْ على لسان بطليها: محمد وثريا، قد كشفَتْ لنا عن فترةٍ زمنية من عمر اليمن مليئة بمآسي التشطير وما رافق فترة التشطير من اغتيالات للرؤساء وشتات للأُسَر اليمنية التي عانتْ الويلات في ظل انقسام الوطن الواحد.

وقد تطرَّقت الرواية لأهم القضايا العربية في حينها والتي امتدت من أواخر الستينات وحتى بداية التسعينات من القرن الماضي وفي مقدمة ذلك الصراع العربي الصهيوني وما نتج عنه من اتفاقية كامب ديفيد التي أحدثت شرخاً كبيراً في جدار الوحدة العربية والعلاقات الحميمية بين أقطار الوطن العربي الواحد.

لذا فهي بحق رواية وطنية وقومية من الطراز الأوَّل. ولعلَ الله يمن علينا بوقتٍ كافٍ نقفُ عندها بقراءة نقدية منفصلة تنصفُ هذا العمل الأدبي المتميّز، والذي تفتقر لمثله المكتبة اليمنية في الوقت الراهن.

في عمله الأدبي الثاني الذي هو روايته التي عنونها بـ(الصعود إلى نافع) دخل عبدالله عباس الإرياني في أعماق القضية الوطنية وتناولَ فيها أهم وأوّل حدثٍ وطني على مستوى اليمن، بل والوطن العربي، وهي ثورة 1948م التي جاءت متكاملةً من حيث أنَّ لها دستوراً واضحاً وأهدافاً محددة سلفاً وقيادة متوافق عليها من قبل أهل الحل والعقد في اليمن حينها. وهو ما افتقرتْ إليه كل الثورات العربية المجايلة لها والتي أتت بعدها في مختلف الأقطار العربية. ما يعني أنّ اليمن كان لها الريادة في تفجير ثورة ذات ملامح واضحة. والأجمل من ذلك أنَّ مَن قامَ بها هم نخبة هذا الشعب من أُدباء ومفكرين وعلماء وقُضاة.

ورواية (الصعود إلى نافع) تناولتْ هذه الثورة بما رافقها من مآسي وقتل وتشريد للثوار، وركّزتْ حتى من خلال العنوان على الجانب الأكثر وحشية في تبعات هذه الثورة التي مُنيَت بالفشل، والمتمثِّل في التعذيب والمعاناة التي لاقاها الأحرار في سجون مدينة حجة، وبالذات الذين كان حظهم سجن نافع الرهيب.

والرواية تختزل بطيّاتها الكثير من جوانب هذه الثورة ومعاناة الأحرار الذين قاموا بها. وتتطرق لصورة من صور نضالات آل الإرياني الذين لعبوا أدواراً وطنية بارزة في مختلف المراحل التي مَرَّ بها الوطن.

وقبل هذه الرواية كان قد صدرَ للإرياني عبدالله عباس مجموعة قصصية بعنوان (حكاية كل خميس) وأتتْ متزامنة مع روايته الأولى(بدون ملل) حيث صدرتا في عام 2006م. وهذه المجموعة القصصية تضمّنَت أوّل قصتين تم نشرها منذ عام 2005م في صحيفتي الثورة و26سبتمبر وهما (هو وهي والقمر – وحكاية كل خميس) والأخيرة تم عنونة المجموعة باسمها.

في 2008م أصدرَ رواية (الغُرْم) والغرم في العُرف الشعبي معروف ومتداول في مختلف المناطق اليمنية، وهو نوع من المساعدة المجتمعية التي تدل على ترابط الأواصر بين الناس، ويكون مادياً أو معنوياً، حيث يكون الغُرْم مثلاً في الأعراس عبارة عن خبز وبنت الصحن وعصيد يقوم بها أهل القرية للعريس، وكذلك فلوس يقدمها ضيوفه له. وفي مناسبات كالمرض أيضاً أو الموت، وقد يكون بالوقوف إلى جانب الشخص في وقت الشدة أو وقت أي مناسبة يحتاجك صديقك أو صاحب قريتك أو قريبك.

والرواية بمجملها تعكس هذا العُرف اليمني الجميل الذي كان له كبير الأثر في تلاحم اليمنيين في مختلف المراحل الحرجة التي مر بها الوطن. والجميل في هذا العمل الأدبي أنّ الروائي لم يغفل التطرُّق لبعض العادات السلبية التي ترافق هذا العُرْف الاجتماعي ولا نقد بعض ما يجب تركه من عادات وتقاليد ليس لها مردود إيجابي على الشعب وتماسكه الاجتماعي.

وإنْ كانت هذه الرواية – في سياق المنتوج الروائي - من وجهة نظري استراحة محارب بالنسبة لعبدالله عباس فإنه ما لبثَ أنْ عاد إلى معمعة القضية الوطنية بعملٍ أكثر تجسيداً للهَمِّ الوطني والمُعاناة التي عاشتها اليمن تحت ظل الحكم العثماني لليمن والضعف الشديد في دولة الأئمة التي تزامنت مع الوجود العثماني القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي عانتْ كثيراً من الانقسام داخل البيت الهاشمي الذي كان يرى أحقيّته في الإمامة ويتنازع بنوه على أولوية مَن يكون هو الإمام. وبذلك تشتت جهد الدولة بين أولئك المتناحرين، وكانت فرصة ثمينة استغلها الأتراك لفرض سيطرتهم على أكبر رقعة جغرافية من اليمن.

والرواية تنتمي لمُسمَّى الرواية التاريخية رغم إنكار المؤلف، وذلك أنها تتكئ وبقوة على أحداث تلك الفترة، والتي أشار إليها في مقدمته من خلال أسماء الكتب التي كانت مرجعاً له في هذا العمل الفذ.

ثم أعقبها في نفس المسار برواية (سُمَّ الأتراك) التي تناول فيها الحقبة الزمنية لأواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة الغزو العثماني الثالث واستقلال اليمن عن الخلافة العثمانية في عام 1918م بقيادة الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى حميدالدين.

أمّا رواية (جولة كنتاكي) فقد سلَطَ ووثّقَ مِن خلالها لانتفاضة الشباب عام 2011م، والتي انقضَّ عليها اللصوص والفاسدون ووأدوها في مهدها وأفرغوها من مضامينها ومضوا بها في مسارٍ غير مسارها. فجاءتْ هذه الرواية الفريدة لتوثّق لهذه الفترة بعملٍ أدبي سيكون شاهداً عليها وفاضحاً للكثيرِ من جوانب القصور فيها. وهذه الرواية وبحقٍّ قامت بما لم يقم به الآخرون.

وفيما حاكمَ المؤلف من خلال رواية جولة كنتاكي سارقي أحلام الشباب، كانت مسرحيته(قميص الحمدي) محاكمة صريحة وعلنية للقتلة والمتآمرين على الرئيس الشهيد إبراهيم محمد الحمدي، وفاضحة للكثير مما تم في هذه المؤامرة الدنيئة، فضلاً عن إيضاح جوانب عظيمة في شخصية الرئيس الشهيد إبراهيم الحمدي.

إلى ذلك جاءتْ مسرحيتا: (سيف العقدة.. سيف الحل) و (سيدة النهرين) مواكبة للنمط الذي اختطه عبدالله عباس لنفسه في أعماله الأدبية، التي يطغى عليها حب الوطن والارتباط الوثيق بقضاياه، والتي تنعكس من خلال انشدادِهِ لماضي وطنه المُشرِق، والرغبة الجامحة لديه في تسليط الضوء على تلك الجوانب المشرقة في تاريخ اليمن وشخصياته العظيمة.

ناهيك عن رغبته وإصراره على إزالة ما رانَ على تلك الشخصيات وذلك التاريخ من خزعبلات الأساطير أو تشويه الحاقدين. فجاءت أعمالُه صورةً ناصعةً لشعبٍ موغلٍ في الحضارة والريادة على مَرِّ الزمن.

ومسرحية (دجلة الشهيد) أرّخَتْ لانقلاب 1955م الذي قاده الشهيد أحمد الثلايا ضد الإمام أحمد ونُصِّبَ فيه أخوه عبدالله إماماً.. وقد شرحت المسرحية جانباً عجيباً مما حدث في تلك الفترة، حيث و(الدجلة) التي كانت لباساً لائقاً بكبار الشخصيات آنذاك، والتي دارت أحداثُ المسرحية حولها كان لها قصة عجيبة رواها الكثير ممن أرّخوا لتلك الفترة وعلى رأسهم العميد محمد علي الأكوع وزير الداخلية الأسبق.

وهذه الدجلة كان يرتديها المناضل الشهيد يحيى السياغي الذي تم إعدامُه عقب فشل انقلاب 1955م، وقد أُخذه منه عند الإعدام الوشاح الذي كان مُكلَّفاً بقطع رؤوس الأحرار. ودارتْ الأيام ليحكم الإمام بقتل الوشاح ويأتي تنفيذ الحُكم والوشاح مرتدياً لتلك الدجلة حق السياغي، فينتزعها منه العبد الذي تم تكليفه بقتل الوشاح وتصبح ملكاً له. إلى أنْ قامت ثورة الـ26 من سبتمبر الخالدة عام 1962م وحُكِمَ على العبد بالقتل، وتم تنفيذ الحُكم بعد نزع الدجلة التي شاءت الأقدار أنْ يدنو من القتل وهو يرتديها كسابقيه، فتُنتزَع منه ثم يتم قتله، ويأخذها واحدٌ من الشعب لا يُعلَم حتى الآن مَن هو وأين مصيرُ هذه الدجلة التي تحدَّثَ عنها غالبية الأحرار والمناضلين.

والآن ومن خلال جولة بسيطة في عناوين إصدارات عبدالله عباس الإرياني تنبئُ عن مضمونها وتشي للمتلقي بصوابية ما ذهبنا إليه في هذا الموضوع مِن طغيان البُعد الوطني على أعمال عبدالله عباس الإرياني. وهذه الإصدارات تتمثل بالتالي:

- الروايات:

-1 رواية ((بدون ملل)) عن ملحمة السبعين اليوم، وقصة حب محمد وثريا.

-2 رواية ((الصعود إلى نافع))، صدرت عام 2007، تناولت ثورة 1948م

-3 رواية ((الغُرم)) وفي عام 2008م أصدرت..

-4 رواية ((مائة عام من الفوضى)) وفي عام 2009 أصدرت دارت أحداثها في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلادي..

-5 رواية ((سم الأتراك)) صدرت عام 2012م، عن الحقبة التي أحتل فيها الأتراك اليمن (1872-1918).

-6 رواية ((جولة كنتاكي)) صدرت عام 2014م.

- المسرحيات:

-7 مسرحية ((دجلة الشهيد)) عام 2007، ، عن حركة الثلايا الفاشلة ضد الإمام أحمد.

-8 مسرحية ((سيدة النهرين))، صدرت عام 2008عن الملكة أروى بنت أحمد الصليحي.

-9 مسرحية ((سيف العقد..سيف الحل)) صدرت عام 2009، قدمت فيها سيف بن ذي يزن برؤيا جديدة..

-10 مسرحية ((قميص الحمدي)) و مكتبة سعيد في كتاب واحد عام 2012م.

- المجموعات القصصية:

-11 ((حكاية كل خميس)) 2006م.

-12 ((الزّارقة)) 2007م.

-13 ((حديث كل يوم)) 2011م.

-14 (((2011م)) صدرت عام 2013م.

-15 ((السلام للثور الهمام)) نُشِرَتْ على حلقات في موقع التغيير نت. ولعل المسرحية تُقرأ من عنوانها.

العازف

علي الفهد

ليس لأنكَ عثرتَ على ساقي نَسْر
وليس لأنهُما كلَّما أبقتْ الريحُ..
ثقبتَها
لتُطردَ السوادَ الجاثم على الإرادةِ
أنت والمراهق
والثقوب التي أحدثتَها على ساقي
النّسرِ
رموز التوحش ألأبدي
أنتَ والطفلُ
الذي يتوحدُ بشجنِكَ
لفرطْ أبوتَك عليهِ
أو لولعِكما بالهدمِ
تُبعثرانِ كلَّ ما قيل
وتسكبانِ توحُشَكما
حدثنا أيها المتوحِش
حتى الطفلِ الذي بجوارهِ
ابدأْ بسيرتِنَا الغامضةِ،
أو بحرْقةِ ساقيّ النِّسرِ
التي طالما
أشعلَ بها
فصولاً
من المطر
حدثنا
أو ستحدث كل واحد قدمه
وتتقافز قلوبنا
كرؤوس الشياطين
حدثنا ليرى كلٌ حمامتَهُ
بيضاءَ بيضاءَ
أو كما يشتَهي
...انفذ الآنَ
جلدُ الغزالةِ تمريُ
يرْهجُ بالنارِ
والغصنُ أخضرَ أخضرْ
والذئبُ هذي الفلاةُ ..
وذئبٌ أنا.
استذئبت
بعدما ظنتْ قوادمهُ
أن ليس يَهطلُ
من أنفاسهِ قمرُ.

شعراء من 29 دولة يتنافسون على لقب «أمير الشعراء»

تستقبل العاصمة الإماراتية أبو ظبي على مدى 3 أيام متواصلة من 31 يناير ولغاية 2 فبراير 2015 في مسرح شاطئ الراحة، ما يزيد عن 300 شاعر من 29 دولة حول العالم لإجراء المقابلات المباشرة مع لجنة تحكيم المسابقة، وذلك لاختيار نخبة الشعراء المتقدمين للمنافسة ضمن حلقات البرنامج الأهم في عالم الشعر العربي الفصيح، والذي يترقب انطلاق موسمه السادس الملايين من متذوقي الشعر الفصيح في المنطقة العربية، بعد النجاح الكبير الذي حققه في مواسمه الخمسة الأولى.

وأعلنت لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي أنه تمّ استقطاب هؤلاء الشعراء لأبوظبي من أصل الآلاف من الشعراء الذين تقدموا للمسابقة، بعد عملية الفرز والتقييم التي قامت بها اللجنة لاختيار الأميز منهم وفق المعايير التي تمّ الإعلان عنها سابقاً، والتي ستقوم أيضاً خلال المقابلات المباشرة باختيار الشعراء الذين سيشاركون في حلقات البرنامج التي سيتم بثها تلفزيونياً على الهواء مباشرة.

وذكرت اللجنة أنّ مرحلة العد التنازلي لانطلاق برنامج "أمير الشعراء" بدأت مع لحظة انتهاء اللجنة من عملية التقييم والفرز في ديسمبر الماضي.

واعتبر سلطان العميمي مدير أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، أنّ إجازة الشعراء مسؤولية كبيرة تقع على عاتق لجنة التحكيم، والتي تضمّ أعضاء مشهود لهم بالمصداقية والخبرة الواسعة في قراءة الشعر وتحليله والنقد الأدبي.

وقوة التنافس الذي ستشهده هذه الدورة التمسناها بالقصائد المشاركة، هم شعراء وضعوا اللقب نصب أعينهم وأتوا من مختلف أنحاء العالم إلى عاصمة الثقافة والنور والشعر والإبداع أبوظبي للمشاركة في أضخم مسابقة شعرية للشعر الفصيح في العالم.

وستبرز اللقاءات المستوى المنتخب والجيد لعدد من الشعراء أصحاب المواهب المتميزة وإن لم يحالف الحظ بعضهم في نيل الإجازة من قبل لجنة التحكيم، إذ أنّ مشاركتهم تأتي تتويجاً لمشاركة عدد تجاوز الآلاف من الشعراء الذين ترشحوا للمسابقة.

هي أصوات شعرية متميزة مثلت أقطاراً عربية من مشرق الوطن العربي ومغربه كانت غائبة عن مشهدية الشعر العربي قبلاً، وجاءت المسابقة لتفتح أمام شعرائها أفق الحضور في مشهد الشعر العربي على اتساعه.

وينتمي الشعراء الـ 300 الذين وقع الاختيار عليهم لمقابلة لجنة التحكيم لعدد من الدول العربية والأجنبية، هي: الإمارات، مصر، سوريا، العراق، فلسطين، الأردن، الجزائر، السودان، اليمن، المغرب، تونس، لبنان، الكويت، البحرين، سلطنة عمان، موريتانيا، أريتيريا، السعودية، كندا، إيران، ليبيا، مالي، الهند، السنغال، بلجيكا، غينيا، النيجر، تشاد، وكازاخستان.

ويعد برنامج أمير الشعراء أحد أهم البرامج التلفزيونية في العالم العربي التي تستلهم التراث العربي العريق، وتهدف لاستعادة روائع الشعر والأدب العربي وإحياء الموروث الثقافي العربي وتحفيز الحراك في مشهد الشعر العربي المعاصر.

وقد عُرضت النسخة الأخيرة (الخامسة) من برنامج أمير الشعراء العام الماضي على مدى 10 أسابيع (مايو- يوليو 2013)، وهو يُقام حالياً مرّة كل عامين، وذلك بالتناوب مع برنامج "شاعر المليون" للشعر النبطي، والذي اختتم الموسم السادس منه في مايو الماضي 2014.

وكان الشاعر المصري د.علاء جانب قد حصل في يوليو 2013 على لقب أمير شعراء الموسم الخامس إضافة لفوزه ببردة الشعر وخاتمه. في حين فاز بلقب الموسم الرابع الشاعر اليمني عبدالعزيز الزراعي، وبلقب الموسم الثالث الشاعر السوري حسن بعيتي، وبلقب الموسم الثاني الشاعر الموريتاني سيدي ولد بمبا، أما لقب الموسم الأول فكان من نصيب الشاعر الإماراتي عبدالكريم معتوق.

بدأ برنامج أمير الشعراء في عام 2007 كحدث ثقافي عربي كبير، يتوّج بالإعلان عن فوز شاعر من المشاركين فيه بلقب أمير الشعراء، ونجح خلال خمسة مواسم بالكشف عن 145 شاعراً مُبدعا تتراوح أعمارهم ما بين 18 – 45 سنة.

وقد فاز برنامج أمير الشعراء مؤخراً بجائزة العويس للإبداع للعام 2014 عن فئة أفضل برنامج ثقافي محلي تلفزيوني، كما سبق وأن حصل على أهم جائزتين في عام 2009 في مجال العمل التلفزيوني على الصعيدين العربي والعالمي كأفضل برنامج مبدع في مهرجان "ايه أي بي" "A.I.B" البريطاني، وعلى الجائزة الذهبية كأفضل برنامج في مهرجان الخليج للتلفزيون بمملكة البحرين بمشاركة المئات من الأعمال العربية.